معرفة ابن الله

في العهد القديم

يوتا دايكسل

معرفة ابن الله في العهد القديم

يوتا دايكسل

© جميع الحقوق محفوظة نوفمبر ٢٠١٨

maranathamedia.com

معرفة ابن الله في العهد القديم

في أحاديثي، كثيرًا ما أواجه بفكرة أن يسوع أصبح ابن الله عند ولادته من مريم. وكثيرًا ما طُرحت عليّ فكرة أن "البنوة" لم تكن سوى "مهمة" أنجزها يسوع في حياته على الأرض. ويُقال أيضًا إن ابن الله لم يظهر في العهد القديم. فهل هذا صحيح؟

قرأت مؤخرًا شهادة نثنائيل، تلميذ يسوع:

أجاب نثنائيل وقال له: «يا مُعَلِّمُ، أنتَ ابنُ الله! أنتَ مَلِكُ إسرائيل!». يوحنا 1:49

لقد تساءلت:

كيف عرف نثنائيل أن يسوع هو ابن الله؟ كان يسوع قد تعمد لتوه آنذاك، ولم يكن قد بدأ تعليمه بعد. لو كان من غير المعروف آنذاك أن المسيح المنتظر هو ابن الله، فلماذا استجاب نثنائيل بتلك الطريقة العفوية والحماسية؟ كتبت إيلين وايت أنه كان يصلي سابقًا تحت شجرة التين راغبًا في معرفة ما إذا كان يسوع هو المسيح الموعود. ثم، عندما التقى بيسوع، وقال له يسوع: "قَبَلْ أَنْ دَعَاكَ فَيَلْبَسُ وَأَنْتَ تَحْتَ التَّيْنَةِ، رَأَيْتُكَ". أجاب نثنائيل فورًا: "يا مُعَلِّمُ، أنتَ ابنُ الله! أنتَ مَلِكُ إسرائيل!".

لماذا لم يقل نثنائيل ببساطة: "يا مُعَلِّمُ، أنتَ المسيح!"؟ بالنسبة لنثنائيل، بدا طبيعيًا أن يكون المسيح ابن الله أيضًا. قبل ذلك بقليل، جاءه فيلبس وقال له: "وجدنا الذي كَتَبَ عَنْهُ مُوسَى فِي النَّمُوسِ وَالْأَنْبِيَاءِ يَسُوعَ ابْنَ يَوْسُفَ الَّذِي مِنَ النَّاصِرَةِ". بعد لحظة من الشك، اقتنع نثنائيل ونادى: "يا مُعَلِّمُ، أنتَ ابنُ الله، أنتَ ملكُ إسرائيل!"

إذا نظرنا إلى الشهادات التالية، يبدو من الواضح أن مصطلح "المسيح" في أذهان بني إسرائيل كان مرتبطًا بمعرفة أنه سيكون ابن الله:

على سبيل المثال قول بطرس:

وَنَحْنُ قَدْ آمَنَّا وَعَرَفْنَا أَنَّكَ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ الْحَيِّ. يوحنا 6:69

أو مرثا أخت مريم ولعازر:

«نَعَمْ يَا سَيِّدُ. أَنَا قَدْ آمَنْتُ أَنَّكَ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ، الَّذِي آتَى إِلَى الْعَالَمِ». يوحنا 20:31

حتى رئيس الكهنة قيافا ذكر مصطلح "ابن الله" فيما يتعلق بالمسيح:

فأجاب رئيس الكهنة وقال له: «أَسْتَحْلِفُكَ بِاللَّهِ الْحَيِّ أَنْ تَقُولَ لَنَا: هَلْ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ؟». متى 63:26

يُذكر مصطلح "المسيح" دائماً مع مصطلح "ابن الله". عندما ندرس تاريخ الخلاص في كتابات إيلين ج. وايت، سنكتشف أنه كان هناك، على مدى قرون، اعتقادٌ راسخٌ بين الآباء وشعب إسرائيل بأن المسيح هو ابن الله الوحيد.

لنعد إلى البداية. ماذا عرف آدم عن ابن الله؟

سُجِرَ آدم وحواء بجمال بيتهما في جنة عدن، وسُرا بالطيور الصغيرة التي تحيط بهما، بريشها الزاهي، وأغانيها المبهجة. واتحد الزوجان المقدسان معها، ورفعاً أصواتهما في أناشيد متناغمة من الحب والتسبيح والعبادة للآب وابنه الحبيب، على كل دلائل المحبة المحيطة بهما. أدركا نظام الخليقة وتناغمها، اللذين ينبئان بحكمة ومعرفة لا حدّ لهما. وكانا يكتشفان باستمرار جمالاً جديداً ومجداً متجدداً في بيتهما في جنة عدن، مما ملأ قلبيهما بحب أعمق، وبعث فيهما عبارات الامتنان والتبجيل لخالقهما. {قصة الفداء ٣:٢٢}

تقرّر في مجلس السماء أن يزور الملائكة جنة عدن ليُحدّثوا آدم من خطر العدو. فانطلق ملاكان مسرعين في طريقهما لزيارة أبوينا الأولين. استقبلهما الزوجان المقدسان ببراءة مبهجة، معبرين عن امتنانهما لخالقهما على إحاطتهما بذلك الكَمّ الغامر من الفضل. كان كل ما هو جميل وجذاب متاحاً لهما ليستمتعا به، وكان كل شيء يبدو مُهيئاً بحكمة لتلبية حاجاتهما. لكن ما قدّراه فوق كل نعمة أخرى، كان صحبة ابن الله والملائكة السماويين، إذ كان لديهما الكثير ليخبراهم به في كل زيارة، عن اكتشافاتهما المتجددة لجمال الطبيعة في موطنهما البديع في عدن، كما كانت لديهما أسئلة كثيرة بشأن أمور لم يتمكنوا من فهمها إلا بصعوبة. {1 روح النبوة 32.3}

أكد آدم وحواء للملائكة أنهما لن يخالفا وصية الله الصريحة أبداً، إذ كانت مسرّتهما العظمى في طاعته. واتحد الملائكة مع آدم وحواء في نغمات مقدسة من الموسيقى المتناغمة؛ وبينما كانت أناشيدهم ترتفع من عدن السعيدة، سمع الشيطان صوت نغماتهم المبهجة في عبادتهم وتمجيدهم للآب والابن. {1 روح النبوة 34.3}

بعد السقوط:

لقد كشف الملائكة السماويون لأبوينا الأولين، بمزيد من الوضوح، عن الخطة التي وُضعت لخلاصهما. وطماناً آدم ورفيقتة أنهما، رغم خطيئتهما العظيمة، لن يُتركا تحت سلطان الشيطان. فقد عرض ابن الله أن يُكفّر بحياته عن معصيتهما، وسيُمنحان فترة اختبار، حتى إذا تابا وآمنا بالمسيح، يمكنهما أن يعودا إلى البنوّة. {الآباء والأنبياء 66.2}

كشفت الذبيحة التي اقتضتها معصيتهما لآدم وحواء عن قدسية شريعة الله؛ فأبصرا، كما لم يريا من قبل، ذنب الخطيئة وعواقبها الوخيمة. وفي ندمهما وضيقهما، توسلا بالأم ألا يقع العقاب على مَنْ كان حبّه مصدر كل فرحهما، بل أن يقع عليهما وعلى ذريتهما. فقليل لهما إنه بما أن شريعة يهوه هي أساس حكمه في السماء كما على الأرض، فلا يمكن قبول حتى حياة ملاك ذبيحة

عن معصيتهما. ولا يمكن إلغاء أي من وصاياها أو تعديلها لتلائم حالة الإنسان الساقطة؛ لكن ابن الله، الذي خلق الإنسان، وحده يقدر أن يكفّر عنه. وكما جلبت معصية آدم البؤس والموت، فإن ذبيحة المسيح ستجلب الحياة والخلود. الآباء والأنبياء 66.4

عندما أدرك آدم وحواء مدى سمو شريعة الله وقدسيتها، وأن انتهاكها يتطلب تضحية باهظة لإنقاذهما وذريتهما من الهلاك التام، استولى عليهما حزن عميق، وتوسّلا بحرقه أن يموتا هما وذريتهما، أو أن يتحمّلا عقوبة خطيئتهما، بدلاً من أن يُقدّم ابن الله الحبيب على تقديم هذه التضحية العظيمة ... {الحقيقة حول الملائكة 60.4}

عندما قدّم آدم، وفقاً لتوجيهات الله الخاصة، ذبيحة عن الخطيئة، كان ذلك طقساً مؤلماً للغاية بالنسبة له. إذ كان عليه أن يرفع يده ليأخذ حياة لا يقدر على منحها إلا الله، ويقدمها ذبيحة عن خطيئته. كانت تلك أول مرة يشهد فيها الموت. وبينما كان يتأمل الضحية النازفة، وهي تتلوى في عذابات الاحتضار، كان عليه أن يوجّه نظره، بالإيمان، إلى ابن الله الذي كانت تلك الذبيحة رمزاً له، والذي سيموت فداءً للإنسان. {1 روح النبوة 53.1}

وقد أعطي نظام الذبائح بأسره لآدم، ليكون رمزاً دائماً للفادي الآتي، المسيح.

لقد أسّس الرب نظام الذبائح مع آدم بعد سقوطه، والذي بدوره علّمه لأحفاده ليكون رمزاً للخلاص. {1 روح النبوة 266.4}

إن نظام الذبائح ذاته أسسه المسيح، وقد أعطاه لآدم ليكون رمزاً للمخلص الآتي. {المسيح في هيكله 31.1}

لقد ربّ الله الذبائح لتكون تذكيراً دائماً للإنسان واعترافاً بتوبته عن خطيئته، وبإيمانه بالفادي الموعود. كان الهدف منها غرس الحقيقة العظيمة في نفوس البشر الساقطين، وهي أن الخطيئة هي سبب الموت. كانت الذبيحة الأولى بالنسبة لآدم طقساً مؤلماً للغاية، إذ كان عليه أن يرفع يده ليأخذ حياة لا يقدر على منحها إلا الله. كانت تلك أول مرة يشهد فيها الموت، وكان يعلم أنه لو كان مطيعاً لله، لما كان هناك موت لأي مخلوق. وبينما كان يذبح الضحية البريئة، ارتجف من فكرة أن خطيئته ستسفك دم حمل الله الطاهر. منحه هذا المشهد إحساساً أعمق وأكثر وضوحاً بعظمة معصيته، التي لا يكفّر عنها إلا موت ابن الله الحبيب. وتعجّب من اللطف اللامتناهي الذي من شأنه أن يقدم فدية كهذه لإنقاذ المذنبين. وقد أضاء نجم الأمل المستقبل المظلم والرهيب، وأنقذه من الخراب الكامل. {الآباء والأنبياء 68.1}

وهكذا، كُشف لآدم عن أحداث هامة في تاريخ البشرية، بدءاً من صدور الحكم الإلهي في عدن، مروراً بالطوفان، وصولاً إلى المجيء الأول لابن الله. وأظهر له أنه رغم أن ذبيحة المسيح ستكون كافية لإنقاذ العالم أجمع، فإن كثيرين سيختارون حياة الخطيئة بدلاً من التوبة والطاعة. {الآباء والأنبياء 67.3}

من الواضح أن آدم قد تعلّم خطة الخلاص وأدرك أن ابن الله سيأتي إلى هذه الأرض ليموت من أجل البشرية. وقد نقل آدم هذه المعرفة عن خطة الخلاص إلى الأجيال التي عاشت قبل الطوفان.

قابيل وهابيل:

أُرشد [قابيل وهابيل] إلى ما أُعدّ لخلاص الجنس البشري، وكان عليهما أن يسلكا في طريق الطاعة المتواضعة، مُظهرين تقواهما لله، وإيمانهما واعتمادهما على الفادي الموعود، وذلك بذبح أبقار الغنم وتقديمها، مع الدم، محرقةً مقدسة لله ... {الحقيقة حول الملائكة 64.2}

بدلاً من أن يعترف بخطيئته، استمر قايين في التذمّر مما ظنه ظلماً من الله، وفي حسد هابيل وبغضه. ودافع هابيل، بوداعة ولكن بحزم، عن صلاح الله وعدله، مبيّناً خطأ قايين، ومحاولاً إقناعه بأن العيب لم يكن في الله، بل فيه هو نفسه. وذكّره برحمة الله التي أنقذت والديهما من الموت، إذ كان في قدرته أن يعاقبهما فوراً، لكنه أظهر لهما رأفته. وأكد له أن الله يحبهم، والدليل على ذلك أنه قدّم ابنه القدوس والبريء ليحمل العقاب بدلاً منهم. لكن كل هذا لم يُطفئ غضب قابيل، بل زاده اشتعالاً. {منذ الأزل 39.4}

شيث:

وُهب لآدم ابنٌ آخر، ليكون وارثاً للوعد الإلهي، وحاملاً للبكورية الروحية. وقد أُطلق عليه اسم "شيث"، ويعني "المُعِين" أو "التعويض"، لأن أمه قالت: "لأنَّ الله قد وَضَعَ لي نَسْلاً آخَرَ عَوْضًا عن هابيل". كان شيث ذا مقام أرفع من قابيل وهابيل، وكان أشبه بآدم من سائر بنيهِ. لقد اتسم بشخصية نبيلة، وسار في طريق البر كما كان هابيل سيسير لو بقي حيّاً. ومع ذلك، لم يرث شيث طبيعةً أفضل من قابيل؛ فقد قيل في خلق آدم: "على شبه الله صُنِعَ"، لكن بعد السقوط، وُلد لآدم "ولِدٌ على شبهه، كصورته". فبينما حُلِقَ آدم بلا خطيئة، على صورة الله، ورث شيث، كسائر البشر، الطبيعة الساقطة لوالديه. لكن شيث تلقى أيضًا معرفة الفادي، وتربّى على البر، فبنعمة الله خدم خالقه وكرّمه. وكان، كما كان هابيل سيفعل، يعمل على أن يحوّل أفكار البشر الخطاة إلى مخافة الله وطاعته. {الآباء والأنبياء 80.1}

أخنوخ:

سمع أخنوخ من آدم نفسه قصة السقوط المؤلمة، وقصة نعمة الله العظيمة في عطية ابنه ليكون مخلصاً للعالم. {الحقيقة حول الملائكة 66.1}

كُتِبَ عن أخنوخ أنه عاش خمسًا وستين سنة وأنجب ابنًا، ثم سار مع الله ثلاثمائة سنة. في تلك السنوات الأولى، أحبّ أخنوخ الله واتقاه، وحفظ وصاياه. وقد كان من نسل القديسين، الحافظين للإيمان الحق، أسلاف النسل الموعود. ومن فم آدم سمع عن السقوط المُظلم، وتعلّم عن نعمة الله المبهجة كما أعلنت في الوعد، فوضع ثقته في الفادي الآتي. وبعد ولادة ابنه البكر، بلغ أخنوخ

اختبارًا أسمى؛ إذ انجذب إلى علاقة أعمق مع الله. أدرك بوضوح أكبر واجباته كابن لله، ومسؤوليته كأب. وعندما رأى حب الطفل لأبيه، وثقته البسيطة في حمايته، وشعر بعمق حنانه وشوقه إلى ابنه، تعلم درسًا ثمينًا عن محبة الله العجيبة للبشر في عطية ابنه، وعن الثقة التي يمكن لأبناء الله أن يضعوها في أبيهم السماوي. فأصبحت محبة الله غير المحدودة، كما أظهرت في المسيح، موضوع تأملاته ليلاً ونهارًا؛ وبكل حرارة قلبه، سعى أن يعلن هذه المحبة للشعب الذين عاش بينهم. {الآباء والأنبياء 84.3}

إبراهيم:

كان إبراهيم يتوق بشدة لرؤية المخلص الموعود. قدّم صلاةً حارةً أن يرى المسيح قبل موته. فرأى المسيح. أُعطي نورًا خاص، فأقرّ بشخصية المسيح الإلهية. رأى يومه، وابتهج. أُتيحت له رؤية الذبيحة الإلهية عن الخطيئة. وقد وجد في تجربته صورة عن هذه الذبيحة. جاءه الأمر: "خُذِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ، الَّذِي تُحِبُّهُ، إِسْحَاقَ، وَاذْهَبْ إِلَى أَرْضِ الْمُرْيَا، وَأَصْعِدْهُ هُنَاكَ مُحْرَقَةً عَلَى أَحَدِ الْجِبَالِ الَّذِي أَقُولُ لَكَ". (تكوين ٢٢: ٢). على المذبح، وضع إبراهيم ابن الوعد، الابن الذي علّق عليه آماله. وبينما كان ينتظر بجانب المذبح والسكين مرفوعة طاعةً لله، سمع صوتًا من السماء يقول: "لَا تَمُدَّ يَدَكَ إِلَى الْغُلَامِ وَلَا تَفْعَلْ بِهِ شَيْئًا، لِأَنِّي الْآنَ عَلِمْتُ أَنَّكَ خَائِفٌ لِلَّهِ، فَلَمْ تُمَسِكِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ عَنِّي". (تكوين ٢٢: ١٢). قد أُجريت هذه المحنة الرهيبة على إبراهيم لكي يرى يوم المسيح، ويدرك محبة الله العظيمة للعالم، والتي كانت عظيمة إلى درجة أنه لرفع العالم من انحطاطه، أعطى ابنه الوحيد لموت مخزٍ للغاية. {مشتهى الأجيال 468.3}

رحل الرسولان السماويان، وتركًا إبراهيم وحده مع من أدرك الآن أنه ابن الله ... بإجلال وتواضع عميقين، تقدّم إليه قائلاً: "إِنِّي قَدْ شَرَعْتُ أَكَلُمُ الْمَوْلَى وَأَنَا تُرَابٌ وَزَمَادٌ". {الآباء والأنبياء 139.2 و139.3}

تعلم إبراهيم من الله أعظم درس أُعطي للبشر. فقد استجيبت دعوته أن يرى المسيح قبل موته، وقد رآه فعلاً — رأى كل ما يمكن للإنسان أن يراه ويحيا. وبفضل تسليمه الكامل لله، استطاع أن يدرك الرؤية التي أُعطيت له. لقد كُشف له أن الله، حين قدّم ابنه الوحيد لفداء الخطاة من الهلاك الأبدي، كان يُقدّم تضحية أعظم وأسمى من كل ما يمكن للإنسان أن يقدمه. {مشتهى الأجيال 469.1}

موسى:

من خلال موسى، أبقيت غاية الله في إرسال ابنه فاديًا للبشرية الساقطة حيّة في أذهان بني إسرائيل. فعند اقتراب وفاته، أعلن موسى قائلاً: "يُقِيمُ لَكَ الرَّبُّ إلهَكَ نَبِيًّا مِنْ وَسْطِكَ مِنْ إِخْوَتِكَ مِثْلِي. لَهُ تَسْمَعُونَ." (تثنية ١٨: ١٥). وقد أمر الله موسى أن يعلم الشعب عن عمل المسيح

الآتي، فقال له الله: "أقيم لهم نبيًا من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فيه، فيكلمهم بكل ما أوصيه به" (تثنية ١٨ : ١٨). {الأنبياء والملوك 684.3}

لقد أعطي لموسى نظام التضحيات من جديد، والذي، كما قرأنا، كان قد أعطي لآدم من قبل ولكن تم تحريفه واستخدامه بشكل خاطئ قبل الطوفان.

أعطى الرب موسى تعليمات محددة بشأن الذبائح الطقسية التي كان من المقرر أن تنتهي بموت المسيح. هذا النظام، الذي أقيم أولاً مع آدم بعد سقوطه، وعلمه لأحفاده، كان قد فسد قبل الطوفان. {علامات الأزمنة 17 يونيو 1880، الفقرة 9}

كانت الذبائح تذكّر الشعب باستمرار بمجيء المخلص. وعلى مدى تاريخ إسرائيل، كان الناس يتعلمون يوميًا، من خلال الرموز، الحقائق العظيمة عن المسيح — الفادي، والكاهن، والملك. {من البهاء إلى الظلمة 345.5}

كان ابن الله هو من وعد أبويننا الأولين بالفداء، وهو من كشف عن نفسه للأبَاء. فقد فهم آدم، ونوح، وإبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، وموسى الإنجيل وتطلّعوا إلى الخلاص من خلال البديل والكفيل عن الإنسان. كان هؤلاء الرجال القديسون في العصور القديمة على تواصل مع المخلص الذي سيأتي إلى عالمنا في جسد بشري، وتحدّث بعضهم مع المسيح وملائكة السماء وجهاً لوجه. {الآباء والأنبياء 366.1}

نرى بوضوح أن الآباء والعبرانيين كانوا يعلمون أن الفادي الآتي — المسيح — هو ابن الله الوحيد. لقد فهموا الإنجيل، وكانت هذه المعرفة شائعة بينهم، تُدعم وتُعزّز يوميًا من خلال طقوس الذبيحة، وبعض الشرائع الأخرى، كشرية تكريس المولود البكر.

يرجع أصل تكريس المولود البكر إلى أقدم العصور؛ إذ وعد الله بأن يمنح بكر السماء لخلاص الخاطئ. وكان من المفترض أن يُعترف بهذه الهبة الإلهية في كل بيت من خلال تكريس الابن البكر، الذي كان يُكرّس للكهنوت، ممثلًا للمسيح بين البشر. {مشتى الأجيال 51.1}

وهكذا، اكتسبت شريعة تقديم المولود البكر أهمية خاصة؛ فهي، وإن كانت تذكيرًا لخلاص الرب العجيب لبني إسرائيل في مصر، إلا أنها كانت أيضًا رمزًا لخلاص أعظم سيحقّقه ابن الله الوحيد. وكما أن الدم المرشوش على العتبات قد أنقذ أباك بني إسرائيل، كذلك دم المسيح قادر على خلاص العالم بأسره. {مشتى الأجيال 51.5}

وعندما جاء الفصح الأول، أدركوا أن الدم المرشوش على العتبات لم يكن سوى رمز لدم ابن الله.

قال الرب لموسى إن على كل عائلة من بني إسرائيل أن تذبح حملًا، وتضع من دمه على عتبات أبواب مساكنها، كعلامة ليمرّ ملاك الموت عن تلك البيوت ... وكان دم هذا الفصح رمزًا لليهود يشير إلى دم المسيح، لأنه في ملء الزمان، سيقدم الله ابنه الحبيب ليذبح كما ذبح الحمل ...

وهكذا، عندما كانت كل عائلة إسرائيلية تُقدّم ابنها البكر في الهيكل، كان ينبغي لها أن تتذكّر كيف نجا الأبقار من الضربة، وأن الخلاص من الخطيئة والموت الأبدي لا يكون إلا من خلال دم الفادي. {قصة يسوع 18}

أمر الذين يحتفلون بهذه الفريضة — فريضة الفصح — أن يربطوا ذبح الحمل بموت ابن الله الذي سيأتي في المستقبل. وكان الدم الذي يُرشّ على عتبات بيوتهم رمزاً لدم المسيح ... {2 روح النبوة 36.1}

الحية على العامود:

كان شعب إسرائيل يعلم أن شكل الحية نفسه لا يحمل أي قوة للشفاء، بل كان مجرد رمز لابن الله. وكانوا يدركون أن الإيمان بكلمة الله، والاستجابة الفورية لها، هما سرّ الخلاص وقوته. {علامات الأزمنة، 28 أكتوبر 1880، الفقرة 18}

لقد فهم دانيال ورفاقه الإنجيل وأعلنوه في بابل:

أخبر العبرانيون المسيحيون في بابل نبوخذنصر عن المسيح، الفادي الآتي، ومن الوصف الذي سمعه، تعرّف الملك إلى صورة الرابع في أتون النار على أنه ابن الله. فأسرع إلى باب الأتون ونادى: "يا عبيد الله العليّ، اخرجوا وتعالوا" فخرجوا أمام الجموع، سالمين، ولم تكن لرائحة النار أثرٌ على ثيابهم. لقد كانوا، بوفائهم لواجبهم، محصّنين من لهيب النيران؛ ولم يُحرق منهم سوى القيود التي كُبلوا بها. {المسيح المنتصر 178.3}

كيف عرف نبوخذنصر أن هيئة الرابع تشبه صورة ابن الله؟ لقد سمع عن ابن الله من العبرانيين المسيحيين في مملكته، إذ نقلوا إليه معرفة الإله الحي، الذي سلطانه على كل شيء. {ريفيو أند هيرلد، 3 مايو 1892، الفقرة 10}

كيف عرف ذلك الملك الوثني حقيقة ابن الله؟ لقد مثّل الأسرى العبرانيين، الذين شغلوا مناصب الأمانة في بابل، الحقّ أمامه بحياتهم وأمانتهم وسلوكهم. وعندما سُئلوا عن سبب رجائهم، أجابوا بلا تردد، موضّحين مبادئ البرّ بوضوح وبساطة، ومعلّمين من حولهم عن الإله الذي يعبدونه. لقد أخبروا عن المسيح، الفادي الآتي؛ وعندما رأى نبوخذنصر صورة الرابع في وسط النار، عرف أنه ابن الله. {الملوك والأنبياء 509.2}

شهد هذا الحدث في بابل عددٌ كبير من القادة من مختلف الأمم، وقد عاد كلٌّ منهم إلى بلاده حاملاً تقريراً عمّا رأى وسمع، ناقلاً الخبر العظيم إلى شعبه.

وبطريقة عجيبة، تمّ تكريم إيمانهم بالكلمة الحية أمام الجميع. فحمل ممثلو الأمم، الذين دعاهم نبوخذنصر لحضور حفل التدشين، بشارة هذا الخلاص العجيب إلى بلدانهم. وهكذا، وبفضل أمانة أبنائه، مُجّد الله في الأرض كلها. {الملوك والأنبياء 511.1}

تُظهر إيلين وايت بوضوح أن معرفة ابن الله الذي سيأتي كمخلص ومسيح لم تنطفئ أبدًا بشكل كامل:

لم ينطفئ الأمل في الفداء بمجيء ابن الله مخلصًا وملغًا من قلوب البشر عبر العصور. فمنذ البدء، وُجد أناس تخطى إيمانهم ظلال الحاضر، وتطلّعوا إلى حقائق المستقبل. آدم، شيث، أخنوخ، متوشالغ، نوح، سام، إبراهيم، إسحاق، ويعقوب — من خلال هؤلاء الأبرار وغيرهم، حفظ الرب الوحي الثمين عن مشيئته للبشرية. وهكذا، أعطى الله لبني إسرائيل، الشعب المختار الذي سيولد من نسله المسيح الموعود، معرفةً بمقتضيات شريعته، وبالخلاص الذي سيتحقق من خلال الذبيحة الكفارية لابنه الحبيب. الأنبياء والملوك 682.2

لأننا نحن أيضًا قد بُشّرنا كما أولئك، لكن لم تنفَع كلمة الخبر أولئك. إذ لم تكن مُمتزجةً بالإيمان في الذين سمعوا. العبرانيين 2:4

نرى بوضوح أن شعب الله في كل جيل كان على دراية بالإنجيل الحقيقي، الذي تُعبّر عنه الآية: "لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكيلا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية" (يوحنا 3:16). وقد شهد مختاروا الله بهذا الإنجيل للعالم عبر الأجيال.

لذلك، لم يكن بنو إسرائيل يجهلون رسالة الخلاص، بل فهموا نصوص العهد القديم التي تنبأت بهذا الخلاص فهمًا عميقًا وواضحًا، ومن هذه النصوص:

مَنْ صَعِدَ إِلَى السَّمَاوَاتِ وَنَزَلَ؟ مَنْ جَمَعَ الرِّيحَ فِي حَفَنَتَيْهِ؟ مَنْ صَرَّ الْمِيَاهَ فِي ثُوبٍ؟ مَنْ ثَبَّتَ جَمِيعَ أَطْرَافِ الْأَرْضِ؟ مَا اسْمُهُ؟ وَمَا اسْمُ ابْنِهِ إِنْ عَرَفْتَ؟ أمثال 4:30

لأنَّهُ يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ وَنُعْطِي ابْنًا، وَتَكُونُ الرِّيَاسَةُ عَلَيَّ كِتْفِهِ، وَيُدْعَى اسْمُهُ عَجِيبًا، مُشِيرًا، إِلَهًا قَدِيرًا، أَبًا أَبَدِيًّا، رَئِيسَ السَّلَامِ. إشعياء 6:9

لماذا ارتجبت الأمم، وتفكّرت الشعوب في الباطل؟ قام ملوك الأرض، وتأمّر الرؤساء معًا على الربّ وعلى مسيحه، قائلين: «لنقطع فيودهما، ولنطرح عنّا رُبُطهما». ... «أما أنا فقد مسحّت ملكي على صهيون جبل قُدسي». «إني أخير من جهة قضاء الربّ». قال لي: «أنت ابني، أنا اليوم ولدتك... اعبدوا الربّ بخوفٍ، واهتفوا برعدةٍ. قَبَلُوا الابْنَ لئلا يغضب فتبيدوا من الطريق. لأنَّهُ عن قليل يتقدّ غضبُهُ. طوبى لجميع المُتَكِبِينَ عَلَيْهِ. المزمور 2

فبالنسبة لثنائيل وبطرس ومرثا، كان الإيمان بابن الله، بصفته المسيح، أمرًا طبيعيًا تمامًا، نابعا من المعرفة التي كانت لدى شعب الله منذ الأزل. فلنؤمن ونقول مثلهم:

يا مُعَلِّمُ، أَنْتَ ابْنُ اللَّهِ! أَنْتَ مَلِكُ إِسْرَائِيلِ! يوحنا 49:1

وَنَحْنُ قَدْ آمَنَّا وَعَرَفْنَا أَنَّكَ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ الْحَيِّ. يوحنا 6:69

نَعَمْ يَا سَيِّدُ. أَنَا قَدْ آمَنْتُ أَنَّكَ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ، الْآتِي إِلَى الْعَالَمِ. يوحنا 27:11

معرفة ابن الله في العهد القديم

ماذا كان معروفًا عن ابن الله في زمن الآباء وشعب إسرائيل؟
في أحاديثي، كثيرًا ما أواجه بفكرة أن يسوع أصبح ابن الله عند ولادته من
مريم. وكثيرًا ما طُرحت عليّ فكرة أن "البنوة" لم تكن سوى "مهمّة"
أنجزها يسوع في حياته على الأرض. ويُقال أيضًا إن ابن الله لم يظهر في
العهد القديم. فهل هذا صحيح؟ هنا الجواب.

يوتا دايكسل